فيه والواو في قوله تعالى ولقد رآه يحتمل ان تكون عاطفة ويحتمل ان تكون للواو وكيف تجاوز لو منه
فقال وقد رآه نزلة اخرى على وجه لا شك فيه تنبيه في قوله تعالى نزلة فعلة من النزول
كجلسة من الجلوس فلا بد من نزول واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول ان الضمير
في رآه عائد الى جبريل اي رأى جبريل نزلة اخرى اي رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من
السماء مرة اخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين مرة في السماء ومرة في الارض عند سدرة المنتهى
قال الرازي ويحتمل ان تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني ان الضمير عائد الى الله تعالى اي
رأى الله نزلة اخرى وهذا قول من قال في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هو الله تعالى وقد قيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا فقد النزول وجهان احدهما قول من يجوز
على الله الحركة من غير تشبيه وثانيهما ان نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث
ان الكلام اي ما رأى الله نزلة اخرى والمراد من النزلة عند هاوي العرجة كانه قال رآه عرجة اخرى قال
ابن عباس نزلة اخرى هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لسبيل التخفيف
في الصلوات فيكون قبل عرجة نزلة فرأى ربه في بعضها وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رأى ربه بعينه وعلى ان المرئي هو الله تعالى فيكون
قوله تعالى عند سدرة المنتهى ظرفا للرؤية كما اذا قال القائل رأيت الهلال فقال له اين رأيته
فقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية واما قول من قال بان الله تعالى في مكان فذلك
باطل فان قيل بان المرئي جبريل عليه السلام فظاهر تنبيه اضافة السدرة الى المنتهى
تحتمل وجوها احدها اضافة الشيء الى مكان كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى حينئذ موضع
لا مقدار ملك قال هلال بن كيسان سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى واشباهها فقال
كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤوس حملة العرش واشباهها تنتهي علم الخلائق وما ظنها عبد
لا يعلم الا الله تعالى وقيل ينتهي اليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب ينتهي
اليها الملائكة والانبياء وقال الربيع ينتهي اليها ارواح الشهداء وقال قتادة ينتهي اليها ارواح
المؤمنين وثانيها اضافة الملك الى مالكه كقولك دار زيد وشجر زيد وحينئذ المنتهى فيه
محذوف تقديره سدرة المنتهى اليه قال تعالى اذ رأيت المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافة
السدرة اليه حينئذ كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم كما يقال في التسبيح ما اعظم
رغباته وما منتهى املاه وثالثها اضافة الحال الى المحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالمنتهى
سدرة عندها منتهى العلوم فيتلقى هناك قال الشاعر وذلك والله اعلم ليلة الاسراء
في السنة الثالثة عشر من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد ان ترقى في معارج الكمالات من
السنين على عدد السموات وما بينهما من المسافات فانتهى الى منتهى سمع فيه صرير الاقلام
وعظمها بقوله تعالى عندها اي السدرة جنة المأوى اي الذي لا مأوى في الحقيقة غيره
وهي الجنة التي وعد بها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل هي جنة اخرى عندها تكون
ارواح الشهداء وقيل هي جنة الملائكة وقوله تعالى اذ يغشى الرأي ان ما يغشى اي ما يغشى
حين يغشى السدرة وهي شجرة النبق وقوله تعالى ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلفوا
فيما يغشاها فقيل فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال
الرازي وهذا ضعيف لان ذلك لا يثبت الا بدليل سمعي فان صح فيه خبر والا فلا وجه له انتهى
قال القرطبي ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا
قائما يسبح وذلك قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملائكة يغشاها كانهم طيور
يرتقون اليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروي في حديث المعراج عن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كقلال هجر قال فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله تعالى يقدر ان
ينعتها من حسنها واوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة وقيل يغشاها انوار الله

تعالى

تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فصيرت الانوار لكن
السدرة كانت اقوى من الجبل فاثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى عليه السلام
صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ابهمه تعظيما له والغشيان تكون بمعنى التغطية
قال الماوردي في معاني القرآن قيل لما اخترت السدرة لهذه الامور دون غيرها من الشجر قال
لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ وريح ذكية فشبهت الايمان
الذي يجمع قولا وفعلا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية
لكونه وريحها بمنزلة القول لظهوره وروى ابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع
سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار وسئل ابو داود عن معنى هذا الحديث فقال هو
مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق
يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه في النار ثم اكد سبحانه الرؤية وقدرها بقوله تعالى
ما زاغ اي ما مال ادنى ميل البصر اي الذي لا بصر لمخلوق اكمل منه فما قصر عن النظر
الى ما اذن له فيه ولا زاد وما طغى اي تجاوز الحد الى ما لم يؤذن له فيه مع ان ذلك العالم
غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما عجز الناظر بل كانت له العصمة الصادقة المبعوثة
بين الشفة والزهادة على اتم قوانين العدل فاثبت ما رآه على حقيقته وكما هو قال
السهروردي في اول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه واخبر تعالى بحسن ادبه
في الحضرة بهذه الآية وهي غامضة من غوامض الادب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه
اللام في البصر تحتمل وجهين احدهما المعروف اي ما زاغ بصره محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا
ان قيل بان الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت اليه ولم يشتغل به ولم
يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش اتلافا وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان قيل ان الغاشي انوار الله تعالى فمعناه وجهان احدهما معناه لم يلتفت عنه ولا يسره
بل اشتغل بمطالعتها الثاني ما زاغ البصر بصقعه بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر
وغشي عليه فمن الاول بيان ادبه محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان قوته الوجه
الثاني ان اللام لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته فان قيل
لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فانه ادل على العموم لان النكرة في معرض النفي تعم اجيب
بان هذا مثل كقوله تعالى لا تدركه الابصار ولم يقل ولا تدركه بصر ولو كانوا قد انكروا
الاسرار لكان المرتفع لهم في غير مثله زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى لقد
رأى اي ابصرها اهلناه له من الرسالة تلك الليلة ابصارا سارا الى الهواء من غير مقتصر
على الظواهر من آيات ربه اي الحسن البصر بما لم يصل اليه احد قبله ولا يصل اليه احد
بعده الكبرى اي العظام اي بعضها واختلف في ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام
رآه في صورته له ستمائة جناح قال الرازي والظاهر ان هذه الآيات عن ذلك لان جبريل عليه السلام
وان كان عظيما لكن ورد في الاخبار ان لله ملائكة اعظم منه والكبرى ما ثبت الاكبر فانه تعالى
قال رأى من آيات ربه الكبرى وقيل رأى رفرفا اخضر سد الافق وقيل اراد ما رأى في تلك
الليلة في مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات
ولما قرر تعالى الرسالة ذكر ما ينبغي ان يبتدأ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك
بقوله تعالى افرأيتم اللات والعزى اشارة الى ابطال قولهم كما اذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه
العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا الى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير
مستدلين بدليل لظهور امره ولذلك قال تعالى افرأيتم اللات والعزى اي كما انكرتم
شركهما بالله تعالى واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغطفان وهما اعظم اصنامهم
اشتقوا لهما اسما من اسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل
العزى تأنيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا
على قبره يعبدونه وعن مجاهد ان العزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)